الفصل الرابع

لغز الباب السري

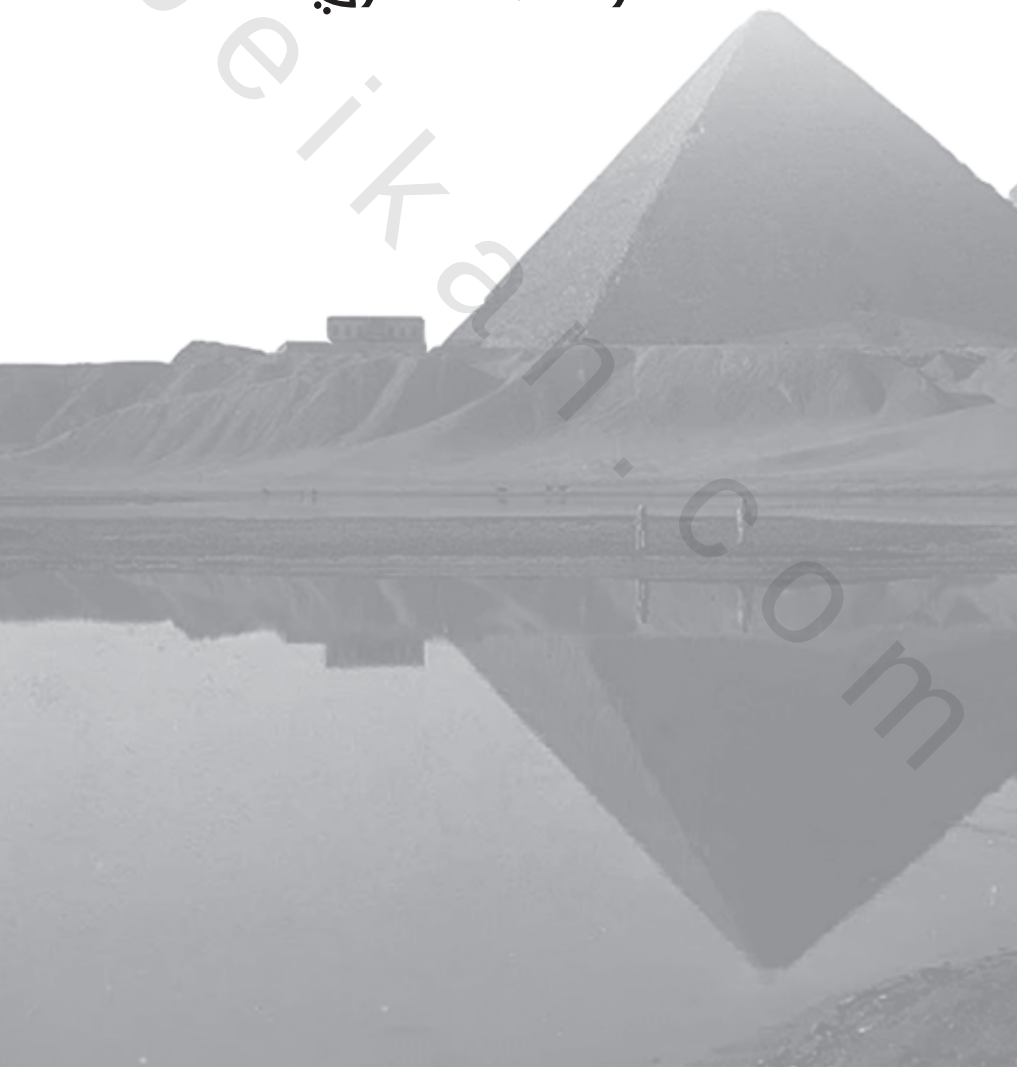

obeikan.com

obeikan.com

6 الفصل الرابع

فى بداية التسعينات، وبالتعاون مع المعهد الألمانى للآثار تم تكوين بعثة مصرية المانية مشتركة مهمتها استكشاف الفتحات الموجودة بحجرة الملكة وتُعرف خطأ بإسم فتحات التهوية وهى عبارة عن فتحتين إحداهما بالجدار الشمالى والأخرى بالجدار الجنوبى للحجرة ومقاسات كل منهما ٢٠×٢٠ سم. وبالفعل تم إرسال إنسان آلى صغير "روبوت" يحمل كاميرا دقيقة لتصوير الممر خلف الفتحة الجنوبية (شكل ٨)، وكانت المفاجأة باكتشاف باب صغير ذى مقبضين من النحاس يغلق الممر على عمق ٢٠٠ متراً داخل هرم "خوفو".

أحدث هذا الكشف آنذاك دوياً عالمياً فى كل مكان، وأطلقت عليه الصحافة الغربية اسم "الباب السرى". وتناقلت الصحف وعدد من المواقع على شبكة الإنترنت ما يطلقه "مجانين الأهرامات" من أن هذا الباب السرى يحتوى خلفه على أدلة تقرن هرم "خوفو" بالقارة المفقودة -أطلانتس-، بل وزادوا فى ذلك وقالوا إن عام ٢٠٠٠ لن يأتى إلا بعد العثور على هذا الكشف. وكتبوا بأننا عثرنا على هذه الأدلة وأخفيناها تماماً عن الأعين حتى نثبت أن هذا الهرم جزء من الحضارة المصرية العظيمة التى لا يعرفونها. وظل المعلق الأمريكى الإذاعى الشهير "آرت بل Art Bill" أحد أعضاء جماعة "The New age" الذى يذيع برنامجاً يومياً يذاع على الهواء لمدة أربع ساعات من الواحدة صباحاً، ويشترك معه تليفونياً العديد من المواطنين فى أمريكا، وله مريدون فى كل مكان. وكان هذا المعلق دائماً ما يشير إلى مفتش الآثار الذى عثر على تمثال داخل الحجرة التى تعرف خطأً باسم "حجرة الملكة"، وقال إنه عندما فتح فجوة داخل التمثال عثر بداخله على لفائف من البردى تثبت وجود هذه القارة المفقودة، وبالتالى تثبت أن هذا الهرم ليس صناعة مصرية، وبالطبع فإن هذه قصة من وحى خيال مريض يرفض الواقع ويلهث وراء عالم الخيال والإثارة. وكان "آرت - بل" يناقش كيفية قيام المصريين القدماء بقطع حجر يزن خمسة عشر طناً، وقال إنهم يحاولون فى أمريكا أن يقوموا بتجارب مماثلة لنقل الأحجار، ولكن باءت التجربة بفشل خمسين رجلاً فى زحزحة حجر يزن عشرة أطنان فقط.

الفصل الرابع 6

وكان الرد على هؤلاء هام وضروري؛ لأن برنامج هذا الرجل يؤثر على أكثر من عشرة ملايين مستمع كل ليلة ممن يصيبهم الأرق وأصحاب المشاكل الشخصية وهم كثيرون جداً فى أمريكا.

وأثناء وجودى فى جامعة لوس أنجلوس حيث كنت أقوم بتدريس الآثار المصرية، طلب منى "آرت – بل" أن يحاورنى عبر أثير الإذاعة. فاعتذرت له بأدب جم وقلت له: "إننى أود أن تزورنى فى مصر قبل أن نتحاور". وتصادف بعد هذا الحوار أن زار مصر هو وزوجته فى رحلة سريعة من رحلات البواخر التى ترسو بميناء الإسكندرية. واستقل سيارة هو وزوجته إلى القاهرة وفوجئت به أمامى فى مكتبى بمنطقة آثار الهرم. وكم كانت مفاجأة لى لم أتوقعها. ورحبت به على الفور، وجلست إلى جواره، وأحضرت نموذجاً يمثل بئراً عمقها ثلاثون متراً وبداخل البئر تابوت يزن ستين طناً. وسألته: "مستر "بل" كيف استطاع المصريون القدماء وُضع هذا التابوت داخل هذه البئر العميقة؟!". فرد على سريعاً: "لا يمكن لبشر أن يفعل ذلك، هذا من عمل قوم ذوى قوة خارقة". وقلت له سوف أروى لك كيف استطاع المصرى القديم منذ ٤٥٠٠ عاماً أن يضع هذا التابوت داخل هذه البئر العميقة. وشرحت له أن هذه البئر كُشفت فى منطقة "أبو صير" الأثرية منذ أشهر قليلة، وقد عثرنا إلى جانبها على بئر أخرى فرعية عمودية تمتد بمستوى الأرض إلى عمق البئر ويصل بينهما ممر صغير. ثم قام المصرى القديم بعد ذلك بردم البئر الرئيسية بالرمال ووضع التابوت فوق الرمال موازياً لسطح الأرض ثم قام العمال بسحب الرمال من الطبقات السفلية للبئر عبر الممر الصغير، وبذلك نزل التابوت إلى أسفل البئر الرئيسية بنزول الرمال دون أن يلمسه أى من البشر. ولاحظت آثار الاندهاش والانبهار على وجه الرجل الذى لم ينطق بكلمة واحدة من شدة دهشته. وقلت له هيا بنا لكى نشاهد معاً موقعاً يضم مقابر الموظفين الذين عاشوا فى عهد الملك "خوفو"، حيث يقوم المرممون والمهندسون المصريون بترميم هذه المقابر عن طريق إضافة أحجار من الحجر الجيرى الجيد الذى أحضرناه من محاجر حلوان، ويزن بعض هذه الأحجار من ثلاثة إلى خمسة أطنان. ووقفنا أمام أحد العمال البالغ من العمر ستين عاماً، وسألت مستر "بل" : "هل تعتقد أن هذا العامل حفيد الفراعنة يمكن أن يكسر هذا الحجر إلى نصفين؟". فردت زوجته قائلة: "هذا مستحيل!!". ووقفنا نشاهد أغرب موقف .. فقام الرجل العجوز ووقف على الحجر وأخرج قلماً من الرصاص ورسم خطاً مستقيماً على سطح الحجر من أوله إلى آخره، بحيث يقسم هذا الخط الحجر إلى نصفين. ثم قام بوضع قطعة من الحديد فى منتصف الحجر، ثم طرقها بالفأس حتى تم غرسها فى الحجر. وبعد ذلك وقف

العامل وفى يده مطرقة وضرب على القطعة الحديدية لمدة دقيقة واحدة، بعدها أنفلق الحجر إلى نصفين سليمين تماماً. وظل "آرت بل" لمدة عام كامل يتحدث عن هذه التجربة التى حدثت أمامه وأصبح من أشد المدافعين عن الحضارة المصرية أمام بعض الأجانب الذين كانوا يؤيدون عدم قدرة البشر على قطع هذه الأحجار، وبالتالى يحاولون إثبات أن هرم "خوفو" دون باقى الأهرامات الأخرى ليس صناعة مصرية.

حكاية الباب السري

فى عام ١٩٩١م، قابلت صديقى الدكتور "راينر شتادلمان" الذى كان آنذاك مديراً للمعهد الألمانى للآثار بالقاهرة، وشرحت له المشكلات التى يعانى منها الهرم، ومنها أن عدد زوار هرم "خوفو" فى ذلك الوقت كان يقدر بحوالى من أربعة إلى خمسة آلاف زائر يومياً، ومن المعروف أن كل زائر للهرم يخرج حوالى عشرين جراماً من المياه عن طريق التنفس، وتتحول هذه المياه إلى أملاح عالقة بجدران البهو العظيم داخل الهرم، وينتج عن ذلك أيضاً ارتفاع نسبة الرطوبة والتى وصلت فى ذلك الوقت إلى حوالى ٨٥٪ تقريباً، وتسببت فى عمل شقوق فى هذا البهو. وبدأ المرممون المصريون بعمل جراحة عاجلة للهرم، حيث بدءوا بالطريقة الميكانيكية الآلية بكشط الأملاح من على جدران البهو العظيم، واستغرق هذا العمل مدة عام كامل أغلق الهرم خلاله لأول مرة فى تاريخه. وبعد ذلك قام فريق الترميم المصرى بمعالجة أربعمائة موضع بالبهو العظيم وهى عبارة عن شقوق غائرة. واستعملوا المونة المكونة من الرمل والجير بنسبة ١:٣. ولأول مرة قلنا وداعاً لاستعمال الأسمنت فى الترميم والذى بدأه "بارازنتى Barazinti" فى القرن الماضى والذى عرف فى الأوساط الأثرية باسم "باراسمنتي" نتيجة لكثرة استعماله الأسمنت فى الترميم، وظل مستعملاً من بعده وحتى وقت قريب وكان هذا سبباً مباشراً فى تآكل الأحجار وتلفها. ثم جاء دور العمل الهندسى داخل الهرم حيث تم تغيير السلالم المتآكلة التى كانت مستعملة منذ افتتاح هرم "خوفو" للزيارة وتم تركيب شبكة جديدة للإضاءة فى الحجرات الثلاث والبهو العظيم ومدخل الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد. وقد وصف العلماء هذا العمل الذى يتم لأول مرة باشتراك الأثرى والمهندس والمرمم كفريق عمل متكامل، بأنه عمل علمى محترم للحفاظ على الهرم الأكبر أهم الآثار المصرية وأعزها لدينا.

الفصل الرابع 6

واتصلنا مرة أخرى بالعالم الصديق "شتادلمان" لكى نعرف ماذا تم بالنسبة لمشروع التهوية داخل الهرم للقضاء على نسبة الرطوبة. فأفاد "شتادلمان" بأنه اتفق بالفعل مع شركة ألمانية متخصصة فى موضوع التهوية، وسوف تقوم الشركة بتمويل المشروع بالكامل. وسوف يرأس العمل الفنى الألمانى "رودلف جانتنبرنك. Rudolf Gantenbrink"" وفعلاً بدأ العمل فى يناير ١٩٩٢م، واتفق فى البداية على ضرورة تنظيف الفتحات الموجودة داخل حجرة الدفن الثالثة المكسوة بالجرانيت، وهى فتحات يطلق عليها خطأ اسم "فتحات التهوية"، وأبعادها حوالى ٢٠× ٢٠ سم، ومنحوتة داخل الهرم ويمتدان من جدارى الحجرة الشمالى والجنوبى إلى خارج الهرم. ولفحص هذه الفتحات استخدمت كاميرا مثبتة على هيكل زحافة يتم سحبها بواسطة كابلات إلى أعلى وأسفل فتحات التهوية، وأطلق على هذه الآلة اسم "وب واووت Wp Wawt"، وهذا اسم أحد الآلهة المصرية القديمة ويعنى اسمه "فاتح الطرق". وهذا هو الإنسان الآلى الذى دخل جسم الهرم لأول مرة فى تجربة فريدة من نوعها. ودخل الإنسان الآلى فى الغرفة الثالثة الخاصة بدفن الملك وحمل "وب واووت" كاميرا صغيرة للتصوير داخل فتحة متصلة بجهاز تليفزيونى داخل الهرم، من خلاله يمكن مشاهدة أجزاء الهرم الداخلية أثناء سير الإنسان الآلى على شاشة التليفزيون. وأثبت الألمانى "رودلف جانتنبرنك" براعته فى تحريك الإنسان الآلى داخل الهرم. وكانت أولى المفاجئات العجيبة والتى لا أنساها أبداً، هى ظهور أحجار الهرم الداخلية متشابكة مع بعضها البعض بطريق العاشق والمعشوق، مما يظهر براعة المصرى القديم فى البناء بالحجر، وخلود الهرم فى وجه الزمن شاهداً على عظمة الإنسان المصرى القديم وعلى براعته الهندسية التى لم تتكرر مع أى شعب من الشعوب خير شاهداً. وأعتقد أن هذه الظاهرة هى التى جعلت الرحالة العرب الذين زاروا مصر فى القرن التاسع الميلادى يطلقون العبارة الشهيرة التى تقول: "إن الإنسان يخاف من الزمن، وإن الزمن يخاف من الأهرام".

واستمر الإنسان الآلى يشق طريقه داخل الهرم يقوم بتنظيف الفتحات من الأحجار الصغيرة والأوراق التى تركها المغامرون الأجانب فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فى محاولة تفسير هذه الفتحات. ومن ضمن هذه الأوراق صفحة من صفحات جريدة الأهرام الصادرة فى ٧ سبتمبر عام ١٨٩٧م. واستطاع "جانتنبرنك" أن ينظف هذه الفتحات وينفذ أول مشروع تهوية داخل الهرم عن طريق عمل شفاطين يوضعان على الفتحتين الجنوبية والشمالية، ووظيفة هذين الشفاطين هى سحب الهواء المحمل بالرطوبة الموجود داخل الهرم وطرده إلى الخارج عن طريق الفتحات، ولكن هذا المشروع كان

يعيبه الصوت العالى جداً الذى كان يصدره الشفاطان نتيجة التشغيل مما يزعج الزائر ولا يتناسب مع عظمة الهرم فى الوقت نفسه. لذلك أغلقنا الهرم للترميم للمرة الثانية ولمدة أربعة عشر شهراً من إبريل ١٩٩٨م إلى أن أُفتتح فى مايو ١٩٩٩م، ثم اتفقنا عن طريق إدارة الترميم بالمجلس الأعلى للآثار مع الشركة الفرنسية التى قامت بتنفيذ مشروع تهوية مترو أنفاق باريس وجا ت بمنحة قدرها خمسين ألف دولار لتنفيذ مشروع التهوية الجديد والذى ما زال موجوداً للآن بالهرم. وقد نقل الفرنسيون نفس فكرة الألمان مع تعديل بسيط لتفادى عملية صوت المراوح المرتفع، فقد تم تركيب شفاطات المراوح من الخارج على فتحات التهوية حيث تقوم بسحب الهواء من الداخل وترده إلى الخارج وتعمل لمدة أربع وعشرين ساعة بقوة حصان ونصف الحصان وبذلك يحدث الصوت خارج الهرم وليس داخله مثلما كان الوضع فى المشروع الألماني.

ونظراً لنجاح مشروع تنظيف فتحات التهوية الأول، فقد عرض الدكتور "شتادلمان" البدء فى مشروع أخر لتنظيف الفتحات الأخرى الموجودة بالحجرة الثانية داخل الهرم والتى يطلق عليها خطأً "حجرة الملكة". ووافقت اللجنة الدائمة للآثار المصرية على هذا المشروع الجديد. وقام "جانتنيرنك" بتعديل الإنسان الآلى الأول إلى إنسان آلى جديد أطلق عليه اسم "وب واووت ٢ – Wp Wawt 2". وبدأ العمل فى ٦ مارس عام ١٩٩٣م، ودخل الإنسان الآلى فى رحلته الثانية إلى الهرم وكشف لنا عن مفاجآت عديدة وألغاز لم نستطع حلها إلى الآن.

وأول هذه المفاجآت، ظهرت فى الفتحة الشمالية، وهى الفتحة التى حاول دخولها المغامر الإنجليزى "هيوارد فيز" فى عام ١٨٨١م ، والذى اشتهر بأنه كان يفتح المقابر والتوابيت الأثرية بالديناميت، وقد عثر داخل هذه الفتحة على مخلب نحاسى وقطعة أخرى من النحاس على شكل كسرة، وأخذهما معه إلى لندن وما زالتا موجودتين فى المتحف البريطانى إلى الآن.

وعندما دخل الإنسان الآلى هذه الفتحة، شاهدنا على شاشة التليفزيون مفاجأتين: الأولى هى العثور على قطعة من الخشب طولها حوالى (٩سم) واحترنا فى تفسير وظيفتها، هل هى قطعة قديمة من عهد "خوفو"، أم تركها بعض المغامرين الذين حاولوا البحث داخل الفتحة ؟. وطلب البعض تحليل هذه القطعة الخشبية بالكربون ١٤(الكربون المشع هو مادة نستطيع من خلالها تأريخ المواد العضوية)، ولكن لا يمكن تحديد عمرها لأنها يمكن أن تكون من شجرة معمرة يرجع تاريخها إلى قبل تاريخ الهرم،

الفصل الرابع 6

ولذلك يبتعد الأثريون دائماً عن تأريخ الأخشاب. والمفاجأة الثانية هى: أن الإنسان الآلى استمر فى السير داخل الفتحة الشمالية، ١٩ متراً فقط، توقف بعدها نتيجة انحناء الممر.

وكانت المغامرة الأخيرة لـ "وب واووت ٢، Wp Wawt 2" داخل الفتحة الجنوبية لحجرة الملكة. وقد دخل إليها وهو محمول على عجلة مصنوعة من الفولاذ وكان استمراره فى السير صعباً للغاية حيث لم يكن فى استطاعته القفز على سطح الفتحة لأنها لم تكن مستوية تماماً، لأنه من الواضح أن هذه الفتحة قد تركها مهندس الهرم دون تسويتها. لذا فقد كانت مغامرة فيها صبر وإثارة وشوق وانتظار... مغامرة فريدة من نوعها لم تحدث فى عالم الآثار من قبل. ولكن كان هناك تصميم من المهندس الألمانى على الاستمرار فى الكشف، وكانت المغامرة واضحة أمامنا على شاشة التليفزيون. واستطاع "جانتنبرنك" أن يجعل الإنسان الآلى يقفز فوق هذه الأماكن حتى وصل إلى حوالى ٦٠، ٦٤ متراً داخل الهرم ووقف أمام قطعة صغيرة من النحاس ملقاة على أرضية الممر وخلفها كانت المفاجأة الكبرى وهى وجود حجر صغير ذى مقبضين من النحاس وهذا ما أطلق عليه "الباب السرى داخل الهرم" (شكل ٩). ولم ننشر هذا الكشف فى حينه وسافرت البعثة إلى ألمانيا مع شريط الفيديو الخاص بالكشف. وفى أول إبريل عام ١٩٩٣م، أرسل "جانتنبرنك" فاكساً إلى السيد/ فاروق حسنى وزير الثقافة المصرى يشير فيه بأنه على وشك أن يدلى بتصريح عن هذا الكشف للصحافة العالمية وأنه يود أن ينسق مع الوزارة بهذا الشأن. وقام السيد/ محمد غنيم وكيل أول وزارة الثقافة للعلاقات الثقافية الخارجية وقتها بإرسال فاكس فى السابع من إبريل عام ١٩٩٣م، أشار فيه بأن القانون يجيز لهيئة الآثار المصرية فقط الإعلان عن هذا الكشف وأن ليس له الحق فى الإعلان عنه بألمانيا وطالبه بضرورة إرسال هذا الفيلم الذى يصور الكشف إلى الوزارة. ولسبب غير معروف وصلت نسخة من الفيلم إلى الـ B.B.C فقاموا بإذاعته دون موافقة وزارة الثقافة. وقد كان هذا أحد الأسباب التى جعلت المسئولين عن الآثار يقررون عدم السماح للبعثة بالعمل مرة أخرى، بل وأعلن المعهد الألمانى للآثار فى القاهرة عن أسفه الشديد لقيام أحد أعضاء البعثة بالإعلان عن هذا الكشف، دون الرجوع لصاحب الحق الأول وهو هيئة الآثار المصرية فى ذلك الوقت. هذه هى القصة الحقيقية للكشف الذى تم عام ١٩٩٢ وأطلقت عليه الصحافة العالمية وقتها اسم "الباب السري".

وقد علق على هذا الكشف العديد من العلماء، فأشار بعضهم إلى أهميته خاصة العالم

الإنجليزى "إدواردز Stephen Edwards" المتخصص فى عصر الأهرامات، ومن أهم من كتبوا عن هذا العصر، وقال فى حديث له فى الـ B.B.C بأنه يحتمل أن تكون وراء هذا الباب بردية أخفاها مهندس الهرم تتحدث عن إعجاز بناء الهرم. وروى غير المتخصصين قصصاً خيالية لا يصدقها العقل. وأصبح هذا الموضوع حديث العامة فى كل مكان ولكنهم فى النهاية اتفقوا على أن ما وراء هذا الباب هو دلائل على العبقرية، وهم لا يشيرون إلى أنها مصرية بل عبقرية هؤلاء القوم الوهميين الذين عاشوا فى قارة لا يوجد دليل على وجودها. وللأسف فإن هناك بعض المصريين غير المتخصصين كتبوا فى نفس المجال ويبدو أن لهم ميولاً معينة ترمى فى النهاية لعدم إثبات هذا الإعجاز الهندسى للمصريين.

وأود هنا التوضيح أن هذه الفتحات التى يطلق عليها خطأ اسم "فتحات التهوية" لا توجد فى أى هرم آخر فى مصر غير هرم "خوفو"، واعتقد البعض أن هرم "خفرع" يوجد فيه نفس الفتحات ولكن اتضح مؤخراً أنها ليست فتحات. وسبب إطلاق اسم "فتحات التهوية" على هذه الفتحات هو أن العلماء لم يستطيعوا أن يفسروا وظيفتها.

ولا زلت أؤمن ان لهذه الفتحات غرض دينى كما سيأتى تفصيله فيما بعد، حيث اعتقد المصرى القديم أن روح الملك "خوفو" كانت تخرج فى شكل الإله "رع" إله الشمس من الفتحة الجنوبية لكى تستقل المراكب الموجودة إلى الجنوب من الهرم، أما الفتحة الشمالية فكانت تخرج منها روح الملك فى شكل الإله "حورس" وهو الإله الذى يمثل الملك على الأرض لكى تتصل بالنجوم الشمالية (حيث دأب المصرى القديم على الإعتقاد بأن هذه النجوم الشمالية خالدة لا تفنى، فتمنى الملك المصرى القديم أن يتحد مع تلك النجوم ليكون له نفس المصير، أى خالد لا يفنى).

وعندما أعلن هذا الكشف اهتزت الدنيا كلها وأصبحت هناك تساؤلات فى كل مكان. ماذا وراء هذا الباب؟ ولماذا يوجد مقبضان من النحاس داخل الهرم؟ وهذه الأسئلة كانت تلاحقنى فى كل مكان. والعالم كله يتحدث عن أسرار الهرم وانتشرت الشائعات حول هذا الموضوع، وكنت دائماً أقول بأننا ننتظر اللحظة المناسبة ولابد أن تقوم بهذا العمل مؤسسة علمية حتى يتم العمل بأسلوب علمى وفى نفس الوقت يمكن استغلال هذا الحدث إعلامياً وسياحياً. ولكن هل هناك باب يمكن أن يكون طوله ٢٠ سم

فقط؟ وقد أعتقد الكثيرون أنه حجر داخل الهرم بل وقال البعض أنه من المحتمل أن يكون مدخلاً لحجرة مغلقة منذ أيام بناء الهرم، أى منذ أكثر من ٤٥٠٠ عام. وتحدثت عنه فى كل مكان وحاضرت عن هذا الموضوع فى كل دول العالم وأصبح هناك شوق لدى العامة والعلماء لمعرفة سر هذا الحجر ذى المقبضين.

وظيفة فتحات التهوية

نتوقف هنا لنناقش وظيفة تلك الفتحات الموجودة داخل هرم الملك "خوفو" والتى سبق وذكرنا أنها حالة فريدة مميزة لهرم الملك "خوفو" فقط دون باقى الأهرامات المصرية ربما نتيجة تصميمه الداخلى الفريد من نوعه أيضاً.

الحقيقة أن تسمية هذه الفتحات باسم "فتحات التهوية" هى تسمية خاطئة لأنه لا يوجد سبب للتهوية حيث إن حجرة الدفن يتم غلقها تماماً بحجر ضخم يوضع على مدخلها وذلك عقب وضع موميا ء الملك فى تابوت خشبى بداخل التابوت الجرانيتي.

وواضح أن هذه الفتحات هى عبارة عن قنوات؛ الشمالية منها تخرج من حجرة الدفن وتنحدر خلال جسم الهرم بزاوية ٣١° بينما تنحدر القناة (الفتحة) الجنوبية بزاوية ٤٥° وترتقى من خلالها روح الملك. كما يعتقد البعض أنها تتصل بالنجوم الجنوبية (أوريون) المتصلة بآلهة العالم الآخر وخاصة "أوزوريس". أما القناتان الموجودتان بحجرة الملكة فيعتقد البعض أنها تسمح بمرور روح الملك الخارجة من تمثاله (تمثال الكا).

ولكن لى رأى آخر فى هذا الموضوع، فكما قلت فإن المهندس المعمارى الذى بنى هذا الهرم بدأ فى وضع حجرة الدفن أسفل الهرم مثل الأهرامات الأخرى، إلا أنه لم يكمل بنا ءها. وقد شرحنا من قبل السبب الدينى فى عدم اكتمال هذه الحجرة، ولذلك بدأ فى تشييد حجرة الدفن الثانية والتى لم يكتمل بناؤها أيضاً، وبالتالى لم يكتمل قطع القنوات الشمالية والجنوبية. ثم دفن الملك فى الحجرة الثالثة. أما سبب تغيير البناء فى المرحلة الثانية فهو سبب معمارى. وجملة القول إن القناة الجنوبية فى حجرة الدفن كانت فتحة رمزية لخروج روح الملك فى شكل الإله "رع" كى يستقل المركبتين الموجودتين فى الناحية

الجنوبية وقد وجدنا أن الفتحة الجنوبية تقع فى منتصف واجهة الهرم الجنوبية مباشرة بين المركبتين ربما حتى يتسنى لروح الملك أن تستقل مركباً لرحلة النهار والأخرى لرحلة الليل. أما عن المجاديف الموجودة داخل المركب فقد كانت مجاديف رمزية يستعملها الإله لقتل الحيوانات الشريرة الموجودة فى العالم الآخر. لذا قُدس الملك بوصفه إلهاً يحمى البشر من الشر والهلاك فى الحياة الأخرى. كذلك كانت القناة الشمالية لخروج روح الملك فى شكل "حورس" كى تلتقى روحه مع النجوم الشمالية.

وأعتقد أن سبب وجود هذه القنوات داخل هرم "خوفو" يرجع إلى أن هذا الملك كان رجلاً فريداً من نوعه وقد صمم على بناء هرم تتحدث عنه الأجيال ويصبح طرازه المعمارى لغز إحتار العلماء فى تفسيره. وقد حدث أثناء حكمه كما أسلفنا فى مقدمة الكتاب أن أرشده ابنه عن وجود ساحر يدعى "جدى" هذا الساحر يمكنه قطع رقبة الإنسان ويعيدها مرة أخرى لمكانها وقال له الإبن إن هذا الساحر يعرف سر الإله "تحوت" إله الحكمة والمعرفة ومن خلالهما يمكنه أن يبنى هرمه. فهل استطاع "خوفو" أن يتعلم أسرار حكمة ومعرفة الإله "تحوت" التى قد تكون مكنته من بناء حجرة سرية يخفى فيها كنوزه ومومياءه ويحافظ عليها من اللصوص؟ فهل هذا الحجر ذو المقبضين هو متراس يغلق حجرة كبيرة مدفون فيها الملك العظيم "خوفو"؟ كل هذه تساؤلات يمكن أن يطرحها العلماء.

والحقيقة أن الملك "خوفو" هو الملك المصرى الوحيد الذى كتب كتاباً مقدساً ولا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب إلا من خلال المؤرخ السمنودى المصرى "مانيتون" الذى قسم التاريخ المصرى القديم إلى أسرات وأشار إلى هذا الكتاب. هل كان كتاباً يحوى كل هذه الأسرار ويفسر لنا عظمة بناء الهرم؟ هل يحدثنا هذا الكتاب عن مستقبل مصر والمصريين؟ أسئلة كثيرة يمكن أن تُطرح لمعرفة ما كان مدوناً بهذا الكتاب فهل هو موجود خلف هذا الباب؟

وهناك رأى آخر أعتقد فى صحته وخاصة عندما ننظر إلى المقبضين النحاسيين، فسوف نجد أنهما على شكل حدوة الحصان، وهذا النوع من المقابض استعمل لجر الصناديق أو الزحافات بالحبال ونجد ذلك جلياً على صندوق الأوانى الكانوبية الخاصة بالملك "توت عنخ آمون" والذى ما زال محتفظاً بمثل هذين المقبضين النحاسيين؛ لذا فإننى أظن أن هذين المقبضين كانا يتم عن طريقهما جر هذا الحجر.

الفصل الرابع 6

فى انتظار كشف السر

وبعد التجربة التى تمت من قبل المعهد الألمانى للآثار الشرقية بالقاهرة داخل الهرم عام ١٩٩٣م، كان لابد من معرفة السر وراء هذا الباب الصغير ذى المقبضين النحاسيين، وحدث أن تقدمت جمعية "الناشيونال جيوجرافيك" بطلب لإستكمال هذه الدراسات وتمت الموافقة وبدأت الجمعية فى تصنيع إنسان آلى جديد للدخول داخل هذه الفتحات الموجودة بحجرة الملكة لإستكشافها وللكشف كذلك عن هذا السر الذى ينتظر معرفته كل إنسان فى كل مكان من العالم.

وقمنا بعد ذلك بعمل تجربة أخرى لدخول الإنسان الآلى وهذه المرة تعلمت الكثير من أسرار الهرم الأكبر، حيث قضيت داخل الهرم ساعات طويلة ولكن قبل أن أجلس لأشاهد مغامرة الإنسان الآلى داخل الهرم قمت فى الصباح الباكر بعمل مغامرة جديدة من مغامراتى داخل هرم "خوفو" وخارجه حيث تسلقت الهرم الأكبر. وكانت عملية التسلق صعبة للغاية تذكرت خلالها المرحوم حفناوى – هذا الرجل الذى عاش فى الزمن الجميل وكان يتسلق الهرم فى أقل من سبع دقائق. وفى إحدى المرات قام حفناوى بتسلق الهرم أمام "هنرى كسينجر Henry Kisenger" أثناء زيارته لمنطقة الهرم برفقة الرئيس الراحل السادات الذى كان مهتماً جداً بهذه الزيارة حتى أنه دعاه إلى استراحة الهرم لمشاهدة الأهرامات من هذا المكان الجميل وأثناء زيارته لمنطقة الهرم ذكرت له ما يقوم به الحفناوى فأبدى رغبته فى أن يستدعى حفناوى وفعلاً جاء حفناوى وتسلق الهرم خلال هذه الدقائق المعدودة. ولا يوجد إنسان حتى الآن يستطيع أن يقوم بتسلق الهرم بهذه السرعة. ونحن الآن نمنع التسلق تماماً لأنه يُحدث تلوثاً بصرياً بالإضافة إلى أن عملية التسلق ليست سهلة وفيها مخاطرة كبيرة خاصة على اولئك الذين يجهلون طبيعة صخور الهرم، وقد وقع بالفعل العديد من الحوادث التى لقى فيه العديد من الأجانب والمصريين حتفهم – وقد تسلقت هذا الهرم فى شبابى عام ١٩٧٧ واستغرقت فى الوصول إلى مسافة ١٣٧ متر حوالى نصف ساعة فقط، والمرة الثانية كان عام ١٩٨٧ واستغرق ذلك حوالى ٤٥ دقيقة والمكان الوحيد الذى يمكن عن طريقه الصعود إلى أعلى، هو الجانب الجنوبى الغربى ولا أعرف لماذا كنت خائفاً من التسلق هذه المرة. ولكن كانت لدى الرغبة فى معاينة مكان الفتحة الجنوبية وهل تصل إلى الخارج من حجرة الملكة أم لا وأيضاً الوصول إلى الفتحة الجنوبية من حجرة الملك. وبدأت عملية التسلق فى حوالى الساعة السادسة صباحاً واستطعت الوصول أولاً إلى مكان الفتحة الأولى رغم أنها لا تصل إلى الخارج ولكن استطعنا معرفة أنها تقع على بعد حوالى ٣٠

متراً تقريباً والفتحة الأخرى على بعد ٧٦ متراً. وهى الفتحة المزودة بمروحة هوائية لسحب الهواء إلى داخل الهرم والتى قام الفرنسيون بتركيبها كما ذكرنا من قبل. وعندما وصلنا إلى القمة شاهدت مرة أخرى الكتابات التى تركها الزوار على قمة الهرم من أعلى. وقد قام الزميل "منصور بريك" والفنانة "نهى عبد الحفيظ" برسم الكتابات التى تركها الزوار منذ القرن السابع عشر وهى أقدم كتابة عثر عليها فوق سطح الهرم ومكتوبة بأكثر من ٢٠ لغة. وهذه المرة استغرق تسلق الهرم حوالى ساعتين وبلا شك فإنها عملية صعبة ولكنها فى سبيل البحث عن المجهول وعن أسرار هذا الهرم العجيب.

وبعد وصول بعثة الناشيونال جيوجرافيك دخلنا حجرة الملكة وقمت بمعاينة الإنسان الآلى الذى تم صنعه على شكل دبابة مستطيلة بطول حوالى ٢٠سم وبارتفاع حوالى ١٢سم يمكن أن يُضغط إلى ٣سم تقريباً وهذا يسمح للإنسان الآلى بالمرور السهل فى الأماكن التى تنحرف بزاوية معينة ويمكن أيضاً أن يقفز الإنسان الآلى إلى أعلى نظراً لأن ممرات هذه الفتحات ليست متساوية (شكل ١٠). وكنت أجلس داخل حجرة الدفن أشاهد الإنسان الآلى وهو داخل هذه الحجرة ولا أتكلم وأحس بنبضات قلبى تزداد أمام هذا الإعجاز العلمى الجبار داخل الهرم وأتذكر المكتشفين الأوائل والفرق الشاسع بين وسائل الكشف اليوم والأمس!. وتم إدخال الإنسان الآلى داخل القناة الجنوبية وهو يحمل كاميرا صغيرة وأمامنا شاشة تستقبل ما يصوره، وظل يمشى مسافة حوالى ١٥ متراً. وكنت أرى صوراً لجوانب هذه القناة لم يكتمل بناؤها أى أنها لم تنحت بالكامل خلال العصر الفرعونى. ولكن كان هناك بعض الأجزاء من القناة عليها بقايا ملاط أى أن أجزاءاً منها تمت كسوتها، وأجزاءاً أخرى عليها بقايا أملاح وشروخ بسيطة. وظل الإنسان الآلى يمشى ببطء شديد حتى وصل إلى منتصف القناة تقريباً. وهنا وجدنا منطقة ترتفع إلى حوالى ٤سم تقريباً عن سطح المنطقة التى يمشى عليها الإنسان الآلى. وقررنا أن نستريح على أن نعود إلى المغامرة داخل الهرم عندما يقفز الإنسان الآلى إلى أعلى لكى يكمل مشواره داخل هذه الفتحة لكى نكشف عن السر الخفى لما وراء هذا الباب.

وواصل الإنسان الآلى السير داخل الفتحة وأنا أجلس أمام الشاشة أتابعه لحظة بلحظة حتى وقف على بعد حوالى ٨ أقدام من الباب المعروف وشاهدنا القطعة النحاسية والتى لا يزيد طولها على ٣سم تقريباً وواصل السير حتى وقف أمام الباب وهنا شاهدت الباب جيداً حيث لاحظت أن المقبض الشمالى

الفصل الرابع 6

فُقِد منه حوالى ٣ سم أى أن القطعة التى عثر عليها أمام الباب كانت أصلاً مثبتة على الباب وهنا تتساءل كيف جاءت هذه القطعة بعيداً عن الباب وفى هذا المكان بالذات الإجابة تكمن فيما شرحناه من قبل بخصوص المقابض النحاسية الممثلة على الأوانى الكانوبية الخاصة بالإله "أنوبيس" وهذه المقابض كانت تستعمل لربط الحبال حتى يمكن شد هذه الأوانى ولذلك فإن هذه المقابض كانت أصلاً على شكل حرف "U" بالإنجليزية وفى نهايتها دائرة للربط ولذلك فقد أراد المصرى القديم أن يشد هذا الحجر عن طريق هذه المقابض فتعثر الشد وسقط هذا المقبض بعيداً عن الحجر.

وقد لاحظنا أيضاً وجود فتحات صغيرة بأعلى الحجر وفى منتصفه وأخرى فى الزاوية اليمنى من أعلى، هذا بالإضافة إلى وجود فتحتين صغيرتين بأسفل الحجر، الأولى بالجانب الأيمن من أسفل والثانية بالجانب الأيسر. وقد وجدنا أن الكاميرا من الصعوبة أن تنفذ من خلال هذه الفتحات لكى تصور ما هو موجود خلف الحجر وهذه الفتحات أو الفوارق بين حجر الباب وأرضية القناة من الصعوبة أن تتسع لكى تدخل كاميرا دقيقة. لذا كان لابد من أحداث ثقب دقيق فى جدار الباب أو الحجر الذى يسد الممر لمعرفة أولاً سمكة وما إذا كان يسمح بإنفاذ الكاميرا الدقيقة لتصوير ما خلفه أم لا، وبالفعل قام الإنسان الآلى بإحداث فتحة قطرها لا يتعدى ١,٣ سم فى جسم الباب الحجرى ذى المقبضين النحاسيين لتنفذ من خلالها الكاميرا وتفتح أمامنا لغز جديد من ألغاز الهرم الأكبر (شكل ١١)، حيث فوجئت وملايين المشاهدين فى كل مكان ممن كانوا يتابعون الحدث المذاع على الهواء مباشرة إلى جميع دول العالم تقريباً بوجود سدة حجرية على مسافة ٢١ سم من الباب الأول، والسدة بها شروخ من جميع الاتجاهات ومن فرط الإثارة اختلطت علىّ أشكال هذه الشروخ حتى تخيلتها منظراً يمثل إنساناً مرسوماً على الطراز المصرى القديم وباقتراب الكاميرا بعض الشئ تأكد لى أنها ليست علامات أو مناظر وإنما هى شروخ منتشرة حول السدة والتى بمجرد مشاهدتها خيل إلىّ أننى أشم رائحة العامل المصرى الذى وضع هذه السدة بيديه قبل ٤٥٠٠ عام كى يخفى شيئاً ما أو يعدل تصميم كان من المفترض أن يكتمل فلا يستطيع أن يدخل الكاميرا من الفتحات العلوية (شكل ١٢).

هذه هى أحدث القصص والأسرار الموجودة داخل هرم "خوفو". ولم تكن المفاجأة قاصرة على هذا الباب الحجرى الصغير الموجود فى الفتحة الجنوبية، وكذلك السدة الموجودة خلفه ولكن هناك مفاجآت

وأسرار عرفناها عن الفتحة الشمالية لم تكن معروفة من قبل؟

وهنا نود أن نشير إلى أن المصرى القديم بعد أن وضع هذه السدة الداخلية أو الباب الثانى قام بنحت ذلك الحجر الصغير والذى تصل أبعاده ٢٠ × ٢٠ سم من أحجار طره، وزوده بمقابض نحاسية وضعها بعناية فائقة. ثم قام بإدخال هذا الحجر داخل ممر الفتحة الجنوبية ودفعه إلى الداخل عن طريق أدوات خشبية طويلة أو معدنية، ووضع فى منتصفها هذه المقابض النحاسية، وواصل الدفع إلى مسافة ٦٤ متراً داخل جسم الهرم حتى استقر الحجر فى موضعه الحالى. ولأننا لم نتوقع إطلاقاً وجود الباب الثانى أو هذه السدة داخل جسم الهرم، ولم يكن لدينا الوقت الكافى كى نستطيع أن نفسر وجود هذه السدة على الهواء مباشرة من خلال ذلك البرنامج الذى بثته الجمعية الجغرافية، حيث أن الوقت الذى كان متبقياً بعد العثور على السدة لم يكن يزيد على دقيقتين فقط.

على آية حال لم نتمكن حتى الآن من معرفة كل أسرار هرم الملك "خوفو" العظيم، ولم نتمكن أيضاً من معرفة ماذا يخفى ذلك الباب السرى فى نهاية الفتحة الجنوبية من أسرار، وقد حار العلماء فى تفسير وجود هذا الباب ولم يقطع فيه برأى إلى الآن، اللهم إلا أنه لا يمكن اعتباره باباً نظراً لصغر مساحة سطحة (٢٠ × ٢٠ سم فقط).

وكان البعض يتوقع أن يشاهد أى دليل خلف هذا الباب على وجود القارة المفقودة أطلانتس على حد قولهم، لأن هناك ملايين العامة كما قلنا الذين خُدعوا بأقوال بعض أعداء مصر المعروفين، ولا داعى لذكر أسماء مؤسسات بعينها؛ وهذا لم ولن يحدث لأن هذا الهرم صناعة مصرية، بناه الفلاح والعامل المصرى من أجل إعادة ولادة الملك ومن أجل أن يصبح الملك إلهاً؛ لذلك فإن الهرم هو المشروع القومى لمصر وهو الذى بنى مصر؛ لأن بناء الهرم جعل المصريين القدماء يبدعون فى العمارة والفن والفلك والهندسة والتكنولوجيا؛ ولذلك فإن الهرم ليس مقبرة فقط توضع فيها مومياء الفرعون، لكنه يمثل قوة الملك وهيبته وهو المكان الأمين الذى سوف يعيش فيه فى عالم الأبدية؛ ولذلك فإن ما تمنوه لم يحدث، وقد أكدت لهم الاكتشافات أن الهرم الأكبر بناه المهندس المعمارى العبقرى المصرى "حم إيونو" ابن عم الملك "خوفو". وبعد ذلك الحدث تدفق ملايين السائحين؛ لأنهم شعروا بأمان مصر وغموضها وسحرها

الفصل الرابع 6

الكامن فى آثارها، وحصلت مصر على تلك الدعاية الهائلة المجانية من هذا البرنامج الذى صور لحظة بلحظة هذه الإكتشافات وإذاعتها على الهواء مباشرة إلى محطات تليفزيون ١٤١ دولة فى العالم وقد تلقيت مئات البرقيات من سفاراتنا بالخارج تضم صوراً لعناوين الصحف والمجلات العالمية التى تناولت ذلك الحدث الفريد من نوعه.

وبعد الكشف عن السدة الحجرية الموجودة خلف الباب الأول كان على البعثة استكمال أعمالها لمدة يومين أخريين بعد الحدث العالمى الذى أذع على الهواء مباشرة. فكان علينا إدخال الإنسان الآلى فى رحلة أخرى عبر الفتحة الشمالية وهو اليوم الذى لن أنساه حيث كنت داخل هرم "خوفو" أتابع الإنسان الآلى وهو يكتشف الفتحة الشمالية المقابلة للفتحة الجنوبية لأول مرة، والتى كان أحد المغامرين الإنجليز ويدعى "ديكسون Waynman Dixon" قد قام بالكشف عن هذه الفتحة فى عام ١٨٧٢م، عندما قام بالحفر فى سطح الجدار الشمالى بالقرب من الفتحة التى لم تكن ظاهرة من الخارج على أيامه ولم يصل حفره مباشرة إلى مدخلها وإنما وصل إلى جانبها، وهذا سبب التكسير الذى يمكن رؤيته الآن حول الفتحة الشمالية، وقد عثر داخل هذه القناة على كرة من الحجر الجرانيتى فى حجم قبضة اليد كانت تستخدم غالباً فى صقل أسطح الأحجار بالإضافة إلى قطعة من الخشب. وكان "ديكسون" قد عثر على خطاف برونزى داخل الفتحة الجنوبية المقابلة وعرفت هذه الأدوات جميعها باسم "ديكسون" وهى المعروضة حالياً بالمتحف البريطاني، وقام بدراستها عالم الفلك "رويال سكوتلاند" وأعلن المتحف البريطانى عام ١٩٩٣م، عن وجود الخطاف والكرة الجرانيتية داخل المتحف. أما قطعة خشب الأرز فلم نعرف عنها شيئاً حتى عام ٢٠٠١ م، عندما تأكد وجودها بمتحف "مارشيال" بمدينة أبردين باسكتلندا.

ودخل الإنسان الآلى الفتحة الشمالية حاملاً المصباح الصغير إضافة إلى الكاميرا وقد وجدنا أن القناة خلف هذه الفتحة فى نفس مقاسات قناة الفتحة الجنوبية وهى أيضاً لم يكتمل نحتها مع وجود بعض الشروخ فى أماكن كثيرة.

إننى هنا لا أستطيع انتقاء الكلمات التى يستطيع القارئ من خلالها أن يشعر بما كنا نشعر به والإنسان الآلى يسير داخل هذه القناة الصغيرة بجسم الهرم، ونشاهد الدقة المتناهية فى البناء ونظام رص الحجارة بطريقة العاشق والمعشوق بصورة رائعة جميلة تظهر الإبداع المعمارى لهذا المهندس العبقرى

الذى جعل جميع الرحالة والباحثين يتحدثون عن بناء الهرم ويتركون لنا العديد من الروايات الغريبة عن الهرم ومعجزات بنائه.

وظل الإنسان الآلى يسير ببطء شديد وكثيراً ما يتوقف نظراً لخشونة أرضية القناة؛ والتى جعلت الفنيين يستغرقون الساعات الطويلة حتى يتمكن الإنسان الآلى من التقدم لأمتاراً قليلة.

ووصلنا إلى المرحلة الحرجة وهى المنطقة التى تبعد حوالى ١٩ متراً من بداية الفتحة الجنوبية وهى المسافة التى حسبها "ديكسون"، وأيضاً نفس المنطقة التى وصل إليها الإنسان الآلى الخاص بالمعهد الألمانى للآثار عام ١٩٩٣م، والتى عجز عن تخطيها ومعرفة ما هو موجود خلف هذه المنطقة، فى حين كانت الدراسات تشير إلى أن هذه المنطقة عند هذه المسافة مغلقة تماماً ولا يوجد فيها باب بمقابض أو أى معلومات أخرى، لكن الغريب أننا وجدنا سيخ الحديد الذى وضعه المغامر الإنجليزى "وارتون إدجار Warton Edgar" عندما جاء إلى مصر عام ١٩٢٣م، بحثاً عن أصول المسيحية داخل الهرم وقام بدفع سيخ الحديد داخل الفتحة الشمالية واضعاً فى مقدمته كرة خشبية، وكان هذا السيخ عائقاً أمام الإنسان الآلى يعوق تقدمه الأمر الذى جعل الفنى المسئول عن تشغيل الإنسان الآلى يقوم بتعديل مساره كثيراً لتفادى هذا السيخ، وعندما وصل الإنسان الآلى حتى النهاية مسافة ١٩ متر وبدأنا ندقق النظر طويلاً، وجدنا أن هذه الفتحة لا تنتهى عند هذا الحد كما ذكر الألمانى "جونتبرنج" الذى أدخل أول إنسان آلى إلى داخل جسم الهرم، بل وجدنا أن القناة تنكسر إلى اليمين وكانت هذه مفاجأة أو كشف سر جديد من أسرار قناة الفتحة الشمالية، وحاولنا أكثر من مرة إدخال الإنسان الآلى إلى اليمين ولكن للأسف باءت كل المحاولات بالفشل حتى منتصف الليل، فكان علينا التفكير فى طريقة للدخول إلى هذه المنطقة التى تراها لأول مرة والتى تنحرف بزاوية كبيرة، وتوقف العمل ونحن مرهقون جداً والعرق يتصبب ولكن الإثارة تحثنا على استكمال هذه المغامرة وغادر الجميع الهرم ومنظر القناة المنحنية لا يبرح خيالنا إطلاقاً، حتى وأنا نائم ظللت أسأل نفسى عما يمكن أن نراه فى الصباح؟ ولماذا هذه القناة موجودة فى هذا المكان؟ وما سبب انحنائها؟ وما يمكن أن يكون خلفها؟ وإلى أى شئ تنتهى؟ وهل سنستطيع بالفعل معرفة إجابة كل هذه الأسئلة فى الصباح الباكر أم لا؟ وفعلاً استيقظت مبكراً وغادرت منزلى إلى الهرم مباشرة ودخلت سريعاً إلى حجرة الملكة لأجد الجميع فى انتظارى فيبدو أننى لم أكن وحدى المشغول بالعثور على إجابة الأسئلة السابقة؛ ودخل الإنسان الآلى مرة أخرى وخلال ساعتين وصل إلى الموقع الذى وقفنا عنده الليلة

الفصل الرابع 6

الماضية أى على بعد ١٩ متراً من بداية الفتحة الشمالية من حجرة الملكة والتى كنا نجلس فيها أمام شاشة التليفزيون نرى فيها كل ما هو موجود داخل الهرم. وبعد محاولات، استطاع الفنيون المسئولون عن هذا الإنسان الآلي، أن يعدلوه لكى ينفذ من هذا المنحنى والذى ساعد على ذلك كونه آخر ما توصلت إليه التكنولوجيا والتى تسمح بإحداث تعديلات عليه فى موقع العمل وكذلك إصلاحه فلا عجب فى أن يكون قد تكلف ما يقارب ٢٥٠ ألف دولار، والخبر الجميل هنا هو أن المجلس الأعلى للآثار أصبح المالك لهذا الإنسان الآلى بعد انتهاء هذه الأعمال ويمكن عن طريقه أن يتم الكشف عن العديد من الأسرار غير المعروفة الموجودة داخل المعابد أو المقابر، خاصة تلك الأماكن التى لا يستطيع الإنسان العادى الوصول إليها ويمكن أن يتم تصويرها وبالتالى معرفة ما هو مخبأ بل ويمكن أيضاً استعماله فى أعمال الترميم وتصوير الأماكن الضيقة خلف الجدران والممرات.

وأخيراً وبعد محاولات شاقة مضنية تخطى الإنسان الآلى هذا المنحنى وأستمر فى السير لمسافة قصيرة، وكانت المفاجأة وجود منحنى أخر إلى الناحية اليسرى من جدار القناة، واستطعنا بعد عناء أيضاً إدخال الإنسان الآلى إلى هذا الجزء، وبعد أربع ساعات تقريباً استطاع الإنسان الآلى أن يقطع مسافة ٢٣ متر من بداية الفتحة الشمالية.

وظل يسير الإنسان الآلى ونحن نحبس أنفاسنا لا نستطيع التحدث وعيوننا معلقة بشاشات التليفزيون نتابع تحركاته خطوة بخطوة، ونشاهد ما لم يشاهده غيرنا من قبل منذ زمن بناء الهرم، وكلنا شوق ولهفة لمعرفة ماذا سوف يحدث، وأين سوف يقف؟ وماذا يخبئ لنا القدر داخل هذا الممر؟ ولكن المفاجأة كانت وقوفه أمام باب آخر ذى مقبضين من النحاس يتشابه تماماً مع الباب الذى عثر عليه داخل الفتحة الجنوبية (شكل ١٣)، ولكن الجديد هنا هو وجود بقايا حبال عثر عليها حول أحد المقابض النحاسية بالباب الجديد. ولم نستطع الاستمرار فى محاولة الكشف؛ حيث كان الوقت قد تأخر وكان اليوم هو نفس اليوم المحدد لسفر البعثة وتأجل استكمال اكتشاف هذه القناة إلى مرحلة أخرى. وأعتقد أننا لو وضعنا كاميرا خلف هذه الأبواب لعثرنا أيضاً على سدة أو باب آخر فى نفس المكان، لأن الغريب هنا أن هذا الباب يقع على مسافة ٦٤ م تماماً فى نفس موضع الباب الجنوبي، أى أن البابين يقعان على مسافة واحدة وبالتالى سوف يوجد باب رابع خلف هذا الباب الجديد ولذلك فإننا قد نعيد حساباتنا مرة أخرى كى ندرس وظيفة هذه الأبواب التى تفتح مجالاً للدراسات الجادة للكشف عن أسرار هرم الملك

"خوفو" حيث إن الهرم يعلن لأول مرة بأنه قد أباح مرة أخرى بأسرار مهمة، ولم يتوقع أى عالم آثار وجود هذا الباب فى الجانب الشمالى وبنفس الشكل تماماً. لكن وجود بقايا الحبال يؤكد نظريتى فى أن هذا الباب ليس جزءاً من الهرم كما عرفنا من الباب الجنوبى وأن المصرى القديم وضع هذه الأبواب بالمقابض النحاسية كى يستطيع أن يحركها بالحبال للداخل أو للخارج حافظاً أسرار الملك "خوفو" التى أخفاها منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة.

وظيفة السراديب والأنفاق داخل هرم الملك "خوفو"

جعلتنى مفاجأة الكشف عن بابين ذى مقابض نحاسية إضافة إلى سدة حجرية خلف أحدهما وافتراض العثور على سدة رابعة خلف الأخر أفكر وأتساءل عن وظيفة هذه السراديب والأنفاق والأبواب المغلقة داخل هرم الملك "خوفو"؟. ولكن قبل الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نعود إلى فهم وشرح بعض الدراسات الخاصة بهرم "خوفو"، والتى سبق لنا الحديث عن بعضها.

من المعروف أن هرم "خوفو" هو الهرم الوحيد فى مصر الذى يحتوى على ثلاثة مستويات من الحجرات الجنائزية ولا يوجد سبب معمارى واضح إلى الآن يفسر لنا ذلك؛ بالإضافة إلى أنه الهرم الوحيد الذى توجد به هذه الفتحات التى يطلق عليها خطأ "فتحات تهوية" وهما فتحتان موجودتان فى حجرة الدفن العلوية إحداهما شمالية والأخرى جنوبية وتصلان إلى الخارج وتقعان على ارتفاع سبعين متراً من قاعدة الهرم، والفتحتان الأخريان الموجودتان فى الحجرة الثانية - التى أطلق عليها العرب خطأ اسم "حجرة الملكة" - لا تصلان إلى الخارج وهما بارتفاع ٣٠ متر عن قاعدة الهرم. والمستوى الأول يمثل الحجرة التى تقع تحت سطح الأرض وتبعد بمسافة حوالى ١٠٠ متر من مدخل الهرم، وتبعد حوالى ٣٠ متر عن سطح الأرض ويعد هذا أول مشروع لحجرة دفن لم يكتمل وترك مهملاً.

وإذا نزلنا إلى هذه الحجرة، فإننا نجد أن الناحية الغربية لها ما تزال توجد بها صخور ترتفع حوالى مترين فوق سطحها. وفى الناحية الشرقية بئر غريبة غير واضحة المعالم؛ مما يؤكد عدم اكتمالها.

أما المستوى الثانى فهو الذى توجد فيه الحجرة الثانية التى اكتشفت بها هذه الأبواب، وتقع هذه

الحجرة على ارتفاع ٢١ متر فى قلب بناء الهرم، وإلى الآن لا يوجد تفسير مقنع لوظيفة هذه الحجرة حيث يتفق البعض على أن هذه الحجرة تم إهمالها لسبب معماري. ويعتقد آخرون أن تمثال الملك كان موجوداً فى الفتحة الشرقية منها وأن الـ "كا" كانت تنفذ إلى الخارج من الفتحات وقد أوضحت من قبل رأيى الشخصى المنشور علمياً أن التغيير من الحجرة السفلية إلى الحجرة الثانية تم لغرض دينى وأن التغيير من الحجرة الثانية إلى الثالثة تم لسبب معماري.

أما المستوى الثالث الذى توجد فيه الحجرة الثالثة – أو حجرة الملك كما نعرفها – فيقع على ارتفاع ٤٣ متر فى قلب الهرم، وهى حجرة واضحة لنا ومعروفة بأنها حجرة دفن الملك "خوفو"؛ لذا نستطيع القول إن المستويات الثلاثة داخل الهرم هى عبارة عن ثلاثة مشروعات أو محاولات متتابعة لحجرات دفن كل منها مستقل عن الآخر. وهنا تكون الحجرة الثانية أو حجرة الملكة هى الحجرة التى تخص المشروع الثاني، لكن لابد أن نضع فى الاعتبار أن هذه الحجرة ليس بها، ولم يكن بها أبداً، تابوت. فهى ذات أبعاد صغيرة جداً إذا ما قورنت بحجرتى الدفن الأولى والثالثة أو بحجرات الدفن بهرمى "سنفرو" والد "خوفو" بدهشور، وكذلك فإن حجمها لا يتناسب إطلاقاً مع حجم الهرم الضخم. وهناك نقطة مهمة جداً، حيث لا يوجد أمام هذه الحجرة أية أدلة لنظام غلق محكم كما اعتاد المصرى القديم أن يغلق حجرة الدفن بإحكام شديد كما نرى على مداخل حجرات الهرم أدلة لهذا الغلق؛ لذا يمكن القول إن الحجرة الثانية ليست حجرة دفن وإنما هى حجرة جانبية.

وعند دراسة طراز هذه الحجرة، نجد أن أرضيتها خشنة وغير مستوية ولكن هناك أدلة على وجود رصيف كان يمتد على أرضية الحجرة ونلاحظ أيضاً وجود تجاويف قد تكون استعملت لأوتاد خشبية. وقد وضع المصرى القديم بعض الروابط من الكتل الحجرية لعلها قد تظهر فجوة مستطيلة على الأرضية تقع على بعد بسيط من مدخل الممر الخاص بالحجرة، وواضح أن هذه الفجوة كانت أصلاً مغلقة بغطاء محكم وهذا ما يعطى لها أهمية خاصة؛ لذا فإننا نستبعد أن تكون النيشة الموجودة فى الجدار الشرقى للحجرة كانت خاصة بتمثال الملك كما تشير بذلك الكتب العلمية عن الأهرام؛ ولذلك لابد أن تكون لها وظيفة

أخرى لا نعرفها. وهنا يجدر أن نوضح بأن خلف هذه النيشة يوجد نفق عميق يصل داخل الهرم إلى حوالى ٦ أمتار، ويعتقد علماء المصريات أن هذا النفق قد قطع بواسطة اللصوص الباحثين عن الكنوز المخبأة داخل الهرم. وسوف نلاحظ أن مدخل هذا الممر منحنى وليس مقطوعاً فى الصخر. وهذا الممر تم عمله بطريقة غير مستوية، ويشبه الممر الذى كشف داخل هرم "ميدوم" الذى يخص أيضاً الملك "سنفرو"؛ لذا لابد أن تكون لهذه الممرات والأبواب وظيفة خاصة لا نعرفها؟. ولعل الإجابة عن هذا السؤال لن تخرج عن واحدة من الأسباب الآتية:

الأول سبب دينى والثانى يتعلق بكنوز الملك "خوفو"!.

أما السبب الدينى فقد يفسر من خلال اعتقادات المصريين القدماء فى العالم الآخر وبناء المعابد والمقابر من أجل العبادة وحفظ موميا، المتوفى، فقد كان تصور المصرى القديم للعالم الآخر عبارة عن بوابات وأبواب مغلقة وأنفاق وسراديب يجب على المتوفى أن يسلكها ويجتازها كى يصل فى أمان إلى قاعة المحاكمة وجنة (الإيارو) فى العالم الآخر. أما فكرة تكرار الأبواب فى الديانة المصرية فمعروفة فى الكتب الدينية التى ظهرت بعد ذلك خلال عصرى الدولة الوسطى والدولة الحديثة.

وكما هو معروف فلدينا متون الأهرام التى ظهرت مع نهاية الأسرة الخامسة، وكتاب الطريقين الذى ظهر فى عصر الدولة الوسطى وكتاب البوابات وكتاب الكهوف وكتاب الليل والنهار، وغيرها من الكتب الدينية ذات الطابع السحرى التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثة. هذه الكتب تتحدث عن أسرار العالم الآخر وعن الصعوبات التى سوف يلقاها المتوفى وهو يجتاز البوابات والطرق الوعرة حتى يصل بسلام إلى العالم الآخر. وبدراسة متون الأهرام نجد أنها تتحدث عن الأقفال المغلقة التى يجب أن يقوم الملك بفتحها والمرور من خلالها حتى تستطيع الروح أن تصعد للعالم الآخر؛ ولذلك فإن هذه الأبواب لها معنى ومغزى دينى مهم يمكن تفسيرها من خلال دراسة نصوص وكتب العالم الآخر.

أما الاحتمال الثانى فيطرحه السؤال الآتى: هل اتبع الملك "خوفو" وسائل أخرى للعثور على سر آخر يستطيع أن يخفى بها موميا، وكنوزه بعيداً عن اللصوص؟ وخاصة لأن هذا كان هو الشاغل الأعظم

الفصل الرابع 6

لدى المصريين القدماء وهو إخفاء المقبرة عن الأعين سواء عن طريق السد المحكم بالأحجار أو عن طريق وضع نصوص لعنة تصيب أى شخص يقترب من هذه المقبرة، وليس أدل على ذلك من النص الذى تركه لنا المهندس المعمارى "إنيني" الذى بنى مقبرة الملك "تحتمس الأول" فى وادى الملوك وقال: "بنيت مقبرة مليكى دون أن يرى أو يسمع أحد"، الأمر الذى يعبر عن مدى اهتمام المصرى القديم بإخفاء مقبرته وحجرة الدفن عن أعين اللصوص.

ولذلك فقد نرجح أن المهندس المعمارى المصرى القديم حاول الاستعانة بالكهنة وبقوة الآلهة المصرية فى إخفاء حجرة دفن أخرى داخل الهرم فى مكان أمين لا يستطع أن يصل إليه أى إنسان، وهذا المكان قد يكون خلف هذا الممر الضيق الذى ينتهى بهذه الأبواب.

وأن السدة أو الباب الثانى داخل الفتحة الجنوبية تخفى وراءها حجرة كبيرة، أى إن المصرى القديم قد بنى حجرة الدفن داخل الهرم نفسه وبعد ذلك قام بسدها تماماً وفتح لها فتحة صغيرة بطول ٢٠ سم سدها بالباب الثاني، ومن عادة المصريين القدماء التمويه لإخفاء موميا، الملك سواء عن طريق غلق حجرة الدفن بالمتاريس الحجرية وإخفائها عن الأعين أو وضع جدران ثم يقوم برسمها لخداع اللصوص حتى لا يعرفوا أن وراء المناظر حجرات، كما كان يقوم بعمل سراديب وأنفاق خادعة ويعمل مصايد كى تصيد اللصوص أثناء اقتحامهم للهرم لسرقته وهذا واضح من دراسة السراديب المعقدة لأهرام عصر الدولة الوسطى والتى ربما تكون تمثيلاً لمملكة العالم السفلى لـ "أوزيريس". وبعد ذلك قام المصرى القديم بعمل متاريس حجرية مضللة. وقد يكون إرسال هذا الحجر إلى الداخل وربطه بالحبال أحد وسائله لتأمين ما يخفيه من حجرات وممرات، ولم يكن المصرى القديم يتصور أن يأتى اليوم الذى يتقدم فيه العلم ويتم تصنيع لإنسان آلى للدخول داخل هذه الفتحة والكشف عن أسرار الهرم لأول مرة.

إن لدى إعتقادًا راسخًا بأن هذه الأبواب قد تخفى سراً من أسرار الفراعنة، ذلك لأن الملك خوفو كما قلنا من قبل كان من أعظم ملوك مصر، بنى أضخم مقبرة فى التاريخ، واستطاع أن يجعل المصريين يبدعون فى إخراج أسطورة معمارية تصل إلى حد المعجزات من ناحية الدقة فى البناء ووضع

الأحجار وضبط زوايا الهرم مع إحدى النجوم كما أثبتت ذلك عالمة المصريات الإنجليزية "كيت سبنسر Kate Spencer" وليست عمارة الهرم هى المعجزة الوحيدة، بل إن النظام الإدارى المحكم لبناء هذا الهرم هو المعجزة بعينها؛ فقد استطاع المصرى القديم أن يقسم العمال إلى فرق كبيرة وصغيرة لكل منها أسماء ورؤساء وعددها الكلى حوالى ٢٠ ألف عامل. وكتب كتاباً مقدساً للمصريين كما أشار بذلك المؤرخ المصرى القديم "مانيتون" الذى عاش فى عهد الملك "بطلميوس الثاني" حوالى عام ٢٨٠ ق.م.

والحدث العالمى الذى تم كان له مردود علمى وإعلامى فى نفس الوقت. وقد تم هذا العمل بناء على دراسات مستفيضة، والمجلس الأعلى للآثار هو الذى قام بطلب تصنيع الإنسان الآلى كى يتم إرساله وإذاعة هذا الكشف على الهواء مباشرة كى يخرس الشامتون والأفاقون الذين يحاولون نسب حضارتنا إلى أجناس أخرى. وقد جاء هذا البرنامج كى يعرف رجل الشارع فى كل مكان قيمة هذه الحضارة، ولذلك فقد وافقت اللجنة الدائمة للآثار المصرية والتى تضم نخبة من علماء مصر فى الآثار والتخصصات المختلفة على أن يتم إدخال كاميرا صغيرة داخل هذا الحجر الذى هو ليس جزءاً من الهرم بل هو متراس أدخله المصرى القديم داخل الهرم كما شرحنا من قبل، وقطر الكاميرا كان حوالي٣ ,١ سم فقط. وجاءت عملية إذاعة الحدث على الهواء رغبة فى أن يعرف العالم كله عظمة مصر.

وعلى الرغم من أن هذا الكشف هزّ الدنيا كلها، إلاّ أن أهم ما وصلنا إليه هو اهتمام المواطن المصرى البسيط بتاريخ وحضارة أجداده، وقد لمست كل هذا خلال إحدى الندوات التى انعقدت بمكتبة مبارك العامة بالجيزة، وفى الشارع المصرى كذلك؛ فلقد كنت سعيداً حينما أوقفتنى طفلة لا يزيد عمرها عن تسع سنوات لتسألنى عن الأبواب السرية وعن مقبرة رئيس العمال. فأدركت أن جزءاً من رسالتى فى الحياة وهى التوعية بعظمة الحضارة المصرية وصل لفئات وقطاعات واسعة من أبناء وشباب مصر.

إننا لم نتوقع أن نكشف عن كنوز مثل كنوز مقبرة الملك "توت عنخ آمون" أو أشياء أخرى، إننا نؤكد أن بناء الهرم هو دليل قاطع على عظمة هذا الشعب، وإن الدعاية التى حصلت عليها مصر من هذا البرنامج لا تقدر بمال؛ فقد استطاع الملك "خوفو" أن يصل إلى كل بيت، كما أفادت التقارير أن هناك ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون أسرة شاهدت هذا البرنامج. وعرفوا العظمة... عظمة المصريين؛ فهذا البرنامج ليس للدعاية ولكن لرفع اسم مصر عالياً. لذلك فإن إعلان هذا الكشف من خلال برنامج تليفزيونى عالمى

6 الفصل الرابع

جاء فى توقيته المناسب تماماً ليتردد اسم مصر عبر وسائل الإعلام الدولى التى كانت ولا تزال منشغلة بأحداث وتداعيات ما بعد الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١.

وللأسف الشديد فإن البعض قد ظن خطأً من حجم الدعاية التى أجريت لهذا البرنامج أن كنزاً دفيناً سوف يكتشف داخل الهرم، وقد زاد من هذا الاعتقاد الحماس الزائد لمقدمة البرنامج والتى حاولت جاهدة إضفاء الإثارة على الأحداث، فقالت إن بردية هامة سوف يتم الكشف عنها لتبيح بأسرار بناء الهرم، الأمر الذى أصاب المشاهدين فى مصر بخيبة أمل بعدما اكتشفوا أنه لم يُعثر على كنوز أو أوراق سرية خلف الباب الذى تم عمل الثقب به، وإنما عُثر على سدة حجرية بسيطة الشكل، ولابد للجميع أن يعلم أن الأمر عندما يتعلق بالهرم الأكبر فإن اكتشاف مجرد فراغ خلف أحد الجدران يعتبر كشفًا أثريًا مهمًا، فما بالنا ونحن نرسل تلك الكاميرا الدقيقة إلى داخل جسم الهرم لنشاهد ونرى ما لم يره غيرنا منذ زمن بناء الهرم الأكبر؟! بل إنه منذ سبتمبر ٢٠٠٢م أصبح لدينا معلومات جديدة لم تكن معروفة من قبل.

أما عن السر الذى جعل المصرى القديم يقوم بعمل هذه الانحناءات بالقناة الشمالية وجعلها تنحرف بزوايا حادة لم يستطع الإنسان الآلى المرور من خلالها إلا بعد حوالى ٥ ساعات متواصلة من المحاولات المستمرة، وتم تصويرها وواضح أن هذه الفتحات منحوتة فى الصخر أى أنها ليست مبنية كى نقول إن المهندس قام بعمل هذه الانحناءات ثم غطاها بالأحجار بعد ذلك، نعود فنقول إن السر وراء ذلك هو أن المهندس المصرى القديم أراد أن يتفادى بهذه الانحناءات البهو العظيم "Grand Gallery" لهرم الملك "خوفو"، فلو سارت قناة الفتحة الشمالية بنفس استقامة مثيلتها الجنوبية لاصطدمت بالبهو؛ لذا إبتكر المهندس العبقرى هذه الانحناءات لحل هذه المشكلة. وكما قلت، فإن المصرى القديم لم يستخدم عضلاته فى بناء الهرم بل استخدم عقله؛ لذا عندما ينظر العامة إلى بعض العناصر المعمارية التى أقامها المصرى القديم قد لا يتصور أن بشراً يمكن أن يقوم بها، وهذا ما يجعل دعاة الهوس والخرافة يتصورون أن الهرم ليس صناعة مصرية ويحاولون نسبته إلى هذا وذاك. وأعتقد أن الاكتشافات الأخيرة التى تمت بالهرم أصابتهم بخيبة الأمل.

وقد شهد عام ٢٠٠٢ العثور على اسم الملك "خوفو" ثلاث مرات فى ثلاثة أماكن متفرقة: الأولى عثر على اسمه الفريق اليابانى الذى يعمل فى أبو صير، والمرة الثانية عثر على اسمه الخورى أى الاسم الذى ينسبه إلى الإله "حورس" مكتوباً بطريقة رائعة جميلة على إناء جميل من الألباستر داخل الهرم الجديد الصغير الذى عثر عليه بجوار هرم الملك "جدف رع" ابن الملك "خوفو" بأبو رواش، والمرة الثالثة عثر على اسمه بالصحراء الغربية ضمن نص يشير إلى أن الملك "خوفو" أرسل بعثة لإحضار أحجار لبناء الهرم. وبعد كل هذا يقول البعض، إن الملك "خوفو" غير موجود فى التاريخ!! ويقول البعض الآخر إن هذا الهرم ليس خاصاً بالملك "خوفو"!! ولكن خرجت كل هذه الاكتشافات هذا العام لتوضح للجميع أن هذا الملك العظيم هو أعظم ملوك مصر الفرعونية الذى بنى أعظم هرم على هضبة الجيزة.

obeikan.com

obeikan.com